مكونات المحاجة

دراسة في تحليل مضمون بعض المحاورات الفكرية

عبد المنعم شحاته*
طريف شوقي فرج**

ملخص: في خطوة مبدئية نحو إعداد مقياس لمكونات المحاجة بوصفها أهم مهارات الإقناع في المجتمع المعاصر، تم تحليل مضمون ست وستين مقالة كتبت عبر فترات تاريخية من تاريخ الفكر الإنساني قديماً وحديثاً.

وتظهر نتائج هذا التحليل أن هناك أربعة وخمسين مكوناً للمحاجة، يشيع بعضها بين المتحاورين في أي زمان ومكان، ويشكل بعضها الآخر نوعاً من الخصوصية الثقافية لسلوك المحاجة في مجتمع بعينه وعصر بذاته. كما أن مكونات المحاجة يمكن أن تنتظم في فئات وأبعاد، وأن تفاوتاً قد يحدث في هذا الانتظام، أو في أهمية مكون مقارنة بآخر، ويمكن عزو هذا التفاوت إلى دور وسيطي لخصال شخصية المتحاورين – أو أحدهم – وخبراتهم السابقة في موضوع المحاجة. وقد تم تقديم المكونات التي أسفر عنها تحليل المضمون إلى ثمانية عشر عضو هيئة تدريس لتحديد أهم خمسة مكونات منها وترتيبها تنازلياً، وعلى ضوء متوسطات تقديراتهم لهذه الأهمية، حظي ثلاثة عشر مكوناً للمحاجة بالأولوية، وهي المكونات التي تتضمن قدرة المحاور على الإبداع وتوكيد الذات وإدارة موقف المحاورة.

المصطلحات الأساسية: المحاجة – البرهنة – الاستدلال – المناشدة المنطقية – تحليل المضمون.

---

* أستاذ ورئيس قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة المنوفية.
** أستاذ ورئيس قسم علم النفس، كلية الأداب، بني سويف، جامعة القاهرة.

مقدمة:

تهدف الدراسة الحالية إلى استكشاف مكونات سلوك المحاجة من خلال تحليل مضمون عدد من المحاورات الفكرية عبر فترات مختلفة من تاريخ الفكر الإنساني قديماً وحديثاً. وتمثل هذه الدراسة خطوة مبدئية نحو اكتشاف المهارات الأساسية والفرعية للمحاجة وكيفية انتظامها، وذلك سعي نحو إعداد مقياس لها يمكن بوساطته قياس هذه المهارات لدى الأفراد، ومن ثم تنميتها لدى بعضهم بتدريبهم على القيام بالتحاور الكفء وإقناع محاوريهم في المواقف التي تتطلب منهم ذلك، وتأتي أهمية هذا التدريب على ضوء ما تشير إليه نتائج دراسات أجريت في مجتمعات خاصيتها الثقافية البارزة هي تشجيع تعدد الآراء وحرية التعبير عنها، ومن ثم تعوَّد أفرادها المحاجة، ومع ذلك تبين الدراسات أن بين 30 و 60% من مواقف خلاف الرأي بين أفراد من هذه المجتمعات لا تدار بشكل عقلاني؛ أي تتضمن محاجة لا تنتهي إلى اقتناع، إذ تنتهي هذه المواقف بشكل سلبي يتمثل في وقف النقاش أو الانسحاب (Johnson & Roloff, 1998)، أضف إليهما العنف كما هو الحال في مجتمعات نامية تعوَّد أفرادها التسلط والرأي الواحد.

وتأتي أهمية الدراسة الحالية انطلاقاً مما يذهب إليه بعض المفكرين بجعل درجة تطور مجتمع ما ومواكبته القرن الحادي والعشرين مرهونة بمدى التنمية الفكرية والسياسية لأفراده، وحجر الزاوية في هذه التنمية هو المشاركة وتعدد الآراء وحرية التعبير عنها، ومن هنا تبرز أهمية المحاجة في عالمنا المعاصر، فلكل فرد في المجتمع وجهة نظره في أمر ما من أمور الحياة اجتماعية كانت أم تربوية، اقتصادية أم سياسية... إلخ، وهو يسعى لأن يقنع غيره بها، فسواء أكان الفرد رئيساً أم مرؤوساً، أستاذاً أم تلميذاً، أباً أم ابناً... إلخ، فهو في حاجة إلى إقناع المتعاملين معه – مستمعيه أو قارئيه – بصحة وجهة نظره، وهو في حاجة أيضاً إلى إثبات العكس بالنسبة لوجهة نظرهم، أي أنه في حاجة إلى القيام بعملية مزدوجة تتمثل في تفنيد وجهات نظر الآخرين وإقناعهم في الوقت نفسه بصحة وجهة نظره، ويطلق على هذه العملية المزدوجة «المحاجة» argumentation والتي تعد أهم استراتيجيات الاستمالة persuasion بالمخاطبة، وتشير المحاجة إلى نمط خطابي discourse يتمثل في العملية التي يقوم الفرد من خلالها بالدفاع عن آرائه حول مواقف معينة، فضلاً عن انتقاده وهجومه على آراء الآخرين المخالفة لآرائه (Rancer, *et al*, 1997).

ويمكن التمييز بين صور ثلاث للمحاجة:

1 – محاجة مضادة Counterarguing، حيث تتم معارضة حجة الآخر صراحة وبشكل مباشر.

2 – محاجة بأسلوب المراجعة الشاملة Througharguing، حيث يبدأ المحاور بعرض وجهة نظر الآخر، ثم تفنيدها بشكل مفصل، ثم يعرض وجهة نظره هو، أي البديلة.

3 – محاجة ضمنية Suppressedarguing، وتتمثل في معارضة الآخر معارضة ضمنية ليست مباشرة، وذلك باستخدام صيغ ظرفية (Hatim, 1997: 47-49).

وتتم كل صورة من الصور الثلاث السابقة بطريقتين:

أ – إما بشكل مفرد episodo، أي إظهار المعارضة مرة واحدة وبوساطة حجة واحدة سواء أكانت هذه المعارضة صريحة أم ضمنية (Johnson & Roloff, 1998).

ب – وإما بطريقة متسلسلة serial تعتمد على سلسلة متشابكة من الحجج المفردة، والتي تركز على قضية (مقولة Issue) بعينها، وقد يستغرق تقديم زملة الحجج هذه عدة ساعات وربما عدة أشهر أو سنوات، كما يمكن أن تتنوع استراتيجيات تقديم كل حجة مفردة من تلك الزملة (Trapp & Holf, 1985). ونقسم استراتيجيات التقديم هذه إلى نمطين:

– يركز أولهما على تحليل المفهوم المتضمن في الحجة، ويتم هذا التحليل إما بأسلوب الوصف ويناسب الموضوعات والمواقف، وإما بأسلوب السرد ويناسب الافعال والأحداث.

– ويتمثل النمط الثاني لتقديم الحجج في تقويم العلاقات بين المفاهيم كعلاقة: السببية، والأهمية، وقيمة الحجة المعارضة، وتكرارها، وبروزها valiation، ويفيد هذا النمط في إحداث تقبل الحجة البديلة للحجة التي تم تقويم العلاقات بين المفاهيم المتضمنة فيها (Hatim, 1997: 36-38).

وأياً كانت الحجة المفردة واستراتيجية تقديمها فإنها تتناول:

أ – إما حقيقة شيء، أي كونه موجوداً أو غير موجود، والمحكات التي استند إليها المحاور في ذلك.

ب – وإما قيمة هذا الشيء، أي كونه مرغوباً ومبرراً، أو كونه غير ذلك، ومحكات هذا الحكم.

جـ – وإما توقع استحسان الآخر: المتلقي لهذا الشيء ودرجة التأثر به، والذي يظهر من خلال تفوق الشيء بوصفه حجة على بدائله وتمتعه بفرص أكبر لإحداث تغيير في معتقدات المتلقي يكون نفع هذا التغيير أكبر من ضرره (Gronbeck, *et al,* 1990: 407-408).

ويحدث خلط بين المحاجة وفقاً للتحديد السابق ومفاهيم مثل: المحاورة، والمناظرة، والمجادلة، والبرهنة، والاستدلال. وكل هذه المفاهيم أو العمليات، مثلها مثل المحاجة تعتمد على الحوار(*) الذي يعد نوعاً من المخاطبة أو الاتصال؛ أي عملية إرسال معلومات وإشارات أو رسائل ورموز واستقبالها، تلك التي يتم تبادلها بين شخصين أو أكثر إما بشكل مباشر، أي بالمخاطبة وجهاً لوجه وإما بشكل غير مباشر، أي بالتخاطب عن بعد وعبر وسيط تقاني (إلكتروني) كما في وسائل الإعلام المختلفة (عبدالمنعم شحاته، 1995). وأصل الحوار التجاوب والمراجعة (ابن منظور، 1980: 1043)، ويعد أفضل صور المخاطبة لأنه اتصال في اتجاهين طرفاه متكافئان، ليس بينهما من هو مصدر ومن هو متلقي بل كل منهما المصدر والمتلقي في الوقت ذاته، أي أنهما تساويا وتناظرا في المخاطبة (المرجع نفسه: 4468)، ومن هنا كانت المناظرة في المخاطبة.

وهكذا يمثل الحوار القاسم المشترك بين العمليات أو المفاهيم المشار إليها آنفاً بوصفه وعاء تتم جميعاً في إطاره، ويكشف تحديد مدلول هذه المفاهيم نقاط التقاء أخرى كما هو موضح تالياً:

المحاورة:

يقصد بها اللغويون تجاوب طرفين في حوار، ولها صورتان:

1 – المناظرة، وتكون حين يتعاون المتحاوران في إظهار الصواب بغض النظر عن كونه ظهر على يد أي منهما، ويعرِّفها أبو البقاء الكفوي (1978: 263) بأنها «النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب».

2 – المجادلة، وتكون إذا غاب هذا التعاون، وهي مشتقة من الجدل، أي شدة الخصومة والمقدرة عليها (ابن منظور، 1980: 571)، وتشكل منازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء أكان كلامه في نفسه فاسداً أم لا، ولها وجهان:

* فالمحاجة تكون دائماً بين فردين أو أكثر، فهي سلوك لفظي تفاعلي، وحتى حينما يحاجي الفرد نفسه، فإنه يفترض موقفين متعارضين مقدماً الأدلة التي تدعم أحدهما (Gronbeck, *et al,* 1990: 401).

أ – مكابرة حينما يعلم المحاور فساد كلامه وصحة كلام خصمه.

ب – معاندة حينما لا يتوافر له هذا العلم (أبو البقاء الكفوي، 1978: 263).

البرهنة:

وهي مضمون المحاورة بصورتيها المناظرة والمجادلة، ويقصد بها لغةً الإتيان بالحجة الفاصلة البينة (ابن منظور، 1980: 271)، ويعد البرهان جزءاً من الأقيسة المنطقية(*) يتسم بكون مقدماته معلومة إما بذاتها، أي ما يسميه أهل المنطق «الضروريات» وإما بوساطة وتسمى «النظريات» (ابن قدامه، 1991: 67). والمقدمات – أساس البرهان – أقاويل تم تركيبها بحيث يلزم عنها رأي، ويتطرق الخلل إلى البرهان من جهة مقدماته، أو من جهة تركيبها أو منهما معاً (المرجع نفسه، 68). والحجة حجر الزاوية في البرهان، وهي ترادف الدليل، ويقصد بها ما يراد به إثبات أمر أو نقضه (مجمع اللغة العربية، 1979: 67)، ويميز العلماء بين صنع الحجة making وامتلاكها having، إذ تعني الأولى البحث عن الدليل وما في حكمه واستخدامه للدفاع عن قضية، أما الثانية فتشير إلى المعارضة التي تتم في أثناء المحادثة، وتعد معارضة للمعاندة وليس دفاعاً عن موقف (Nofsirger, 1991: 196)، ولجوء المحاور لأي منهما في محاجته يعتمد على طبيعة القضية ووقائعها ومدى قدرة عمليات الحوار على إنتاج الحجة أو إثباتها (المرجع نفسه: 154) ودرايته بالكلمات وكيفية فك رموزها وفقاً لقواعد المعنى وموضع الكلمة من العبارة وقواعد هذا الموضع (MacDonald, *et al,* 1994).

ويشير الدليل إلى أي شيء يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن، ويهدف إلى إخراج الشيء من الإشكال إلى الوضوح (التهانوي، 1972(2): 292) أو هو الحجة الكاملة الواضحة، ويشمل أي صيغة لمادة تدعم الفكرة (أو القضية) وتوضحها مثل الشرح والمقابلة (التضاد) والمثال النوعي والإحصاءات وشاهد العيان (Gronbeck, *et al,* 1990: 408). وللبرهان أشكال عدة هي:

1 – الاستنتاج inference، أي انتقال الذهن من قضية أو أكثر (هي المقدمة) إلى أخرى هي النتيجة، مترتبة عليها بشكل مباشر أو غير مباشر.

* التي تشمل إضافة إلى البرهان الذي يفيد العلم، كلا من: الخطابة أو ما كانت مقدماته مشهورة بين الأفراد، ويفيد الظن – والجدل أو ما يسلم المخاطب بمقدماته، ويفيد الظن أيضاً – والشعر (ابن تيمية، 1951: 158) والسفسطة أو القياس المركب من مقدمات شبيهة بالحق، وتعد إحدى صور المغالطة إضافة إلى المبالغة (أبو البقاء الكفوي، 1975: 264).

2 – البرهان التحليلي أو الاستنباط deduction، أي انتقال الذهن من قضية إلى أخرى وفق قواعد المنطق، ومنه القياس الأرسطي وأساسه الانتقال من الكلي إلى الجزئي، ومنه أيضاً البرهنة الرياضية، وفيها يتم الانتقال من الشيء إلى مساويه، بل من الأخص إلى الأعم (مجمع اللغة العربية، 1979: 12–13).

3 – البرهان التركيبي أو الاستقراء induction ، أي تصفح الفرد الأمور الجزئية ليحكم بحكمها على مثالها (ابن قدامه، 1991: 68).

4 – الاستدلال reasoning ، أي ربط شيء واضح ومقبول (دليل) بفكرة أو مفهوم تحاول إقناع الآخرين بقبولها، ويتم هذا الربط عبر خمسة أنماط للاستدلال هي:

أ – استخدام المثال النوعي، فما ينطبق على حالات جزئية قد ينطبق على كل الحالات.

ب – البدء بمبدأ عام ثم استنتاج مضامينه، أي استنباطها.

جـ – استنتاج وجود الشيء من ملاحظة علامة أو رمز تدل عليه.

د – الاستدلال بحالات موازية.

هـ – الاستدلال بعلاقات سببية (Gronbeck, *et al,* 1990: 410-411).

وحيث إن الأفراد يميلون إلى البحث عن أسباب للأحداث المحيطة بهم وخصوصاً غير المعتاد منها ويقومون بجمع الأدلة التي تمكنهم من فهم هذه الأحداث وتفسيرها وتوضيحها للآخرين وإقناعهم في أثناء المحاجة بصحة هذا التفسير، وبسبب عدم استطاعة العقل الإنساني استيعاب كل الأدلة، فإنه يعتمد – عند قيامه بالاستدلال – على نوعين من القواعد هما:

1 – مخططات سببية، وتشير إلى أي تصور عقلي يربط الأحداث الجديدة بأحداث ماضية ويرشد الفرد إلى إعزاءات attributes يتعامل معها كأسباب يفسر بها الأحداث الجديدة (Niedenthal, *et al,* 1994).

2 – أما النوع الثاني فيمكن تسميته بـ«القواعد الارتجالية heuristic»، وهي قواعد تمكن الفرد من ترجيح حدث على آخر استناداً إلى محكين:

– **أولهما:** كون الحدث الذي يستدل به الفرد حدثاً شائعاً يطال معظم الأفراد إن لم يكن كلهم.

– **ثانيهما:** كون الحدث متاحاً، أي يميل الفرد إلى تذكره.

وعلى ضوء هذين المحكين يتمكن الفرد من ترجيح حدث على آخر، وقد يكون ترجيحه هذا متحيزاً، وللقواعد الارتجالية عدة أنواع هي:

أ – الترجيح الاحتمالي، أي الميل إلى تفضيل ترجيح احتمال بعينه من الاحتمالات الممكنة للحدث.

ب – الترجيح اعتماداً على ربط الأحداث المتزامنة في حدوثها.

جـ – الترجيح اعتماداً على ميل الفرد لتقدير تكرار الأحداث أو تصورها في ترتيب معين استناداً إلى التشابه أو التزامن، وهنا يؤدي التذكر دوراً أساسياً.

د – الترجيح اعتماداً على علاقة مفترضة بين أحداث غير معتادة.

هـ – قاعدة الإتاحة والتي تعتمد على نتائج التذكر كمحك لترجيح تكرار حدوث شيء ما (Chaiken & Mehaswaren, 1994).

وقد شهد العقد الأخير اهتماماً متزايداً بمبدأ المماثلة analogy [1] وهي إحدى الآليات المعرفية التي يستعين بها الأفراد للقيام بالاستنتاجات، وهي عملية فهم موقف جديد على ضوء آخر مألوف يعد أساساً أو مصدراً للمماثلة، ويمد القائم بها بنموذج للقيام بالاستنتاجات حول الموقف غير المألوف أو هدف المماثلة، ويرى الباحثون أن المماثلة أداة جيدة لصنع المتشابهات وتعلم المخططات المعرفية Schema وبناء الحجج (Gentner & Holyoak, 1997).

وفي السنوات الأخيرة انتظمت اهتمامات علماء النفس بالاستدلال لتشكل محاولة لتطوير نظرية نفسية تمثل نموذجاً له، مؤكدين إمكانية أن تبدأ هذه النظرية بمجموعة قواعد منطقية قابلة للاختبار سلوكياً من خلال مقاييس أو إجراءات تقيس مدى تعقيد أي من هذه القواعد عبر البرهنة والصعوبات النسبية لذلك (Bonatti, 1994).

ويرى بعض العلماء ضرورة توسيع هذا الإطار – أو النظرية – لاعتقادهم بأن الاستدلال أكثر عمومية من مجرد استخدام الفرد قواعد المنطق والرياضيات لفهم

(1) لعل المثل الأبرز لفاعلية المماثلة في أثناء المحاجة ما حدث في أثناء حرب الخليج الثانية (1990–1991) من ترويج الولايات المتحدة لصورة الرئيس العراقي صدام حسين مماثلة للزعيم النازي «هتلر»، وكان لذلك أبلغ الأثر. مثال آخر يتمثل في صورة لوزير الخارجية الإسرائيلي «ليفي» عرضها التلفاز اللبناني في فبراير 2000 تركز على المقارنة بينه وبين هتلر في الصراخ والإشارات ومعاني ما يقول.

الأحداث المحيطة به، ففي محاولته فهم موقف ما، لا يكتفي الفرد باستخدام هذه القواعد فحسب، وإنما يقيس الموقف المراد فهمه – بما في ذلك سلوك الآخرين – إلى معتقداته ورغباته أحياناً، وإلى ظروفه البيئية أحياناً أخرى (Anderson, 1991)، الأمر الذي يقلل من فرص أن يؤدي سلوكه المحاجي إلى الإقناع.

مشكلة الدراسة:

على مدى أربعة عقود مضت، تظهر دراسات تغيير الاتجاه قاعدة قابلة للاستعادة بدرجة كبيرة، وهي أن هناك علاقة عكسية بين تغيير الاتجاه والمحاجة، أي أنه كلما أظهر الفرد تغييراً أكبر في موقفه الاتجاهي، كانت المحاجة لديه أقل، بمعنى آخر إن الأفراد الذين لديهم عدد أكبر من الحجج المساندة لموقفهم الاتجاهي أقل استجابة لمحاولات إحداث تغيير في هذا الموقف (Joule & Beauvous, 1998).

وحيث إن الطريق الأكثر شيوعاً – ربما لأنه الأسهل تناولاً – لإحداث تغيير في الاتجاه هو وسائل التخاطب المختلفة، وحيث إن أحد المكونات الأساسية للتخاطب هو مضمونه أو الرسالة، وأهم محور فيها هو المناشدات وعلى رأسها المحاجة (عبدالمنعم شحاته، 1995) بوصفها مدخلاً لتغيير المكون المعرفي للاتجاه، والذي يحدث تغييره تعديلاً في الموقف الاتجاهي للفرد اعتماداً على كون الاتجاه نسقاً يتبادل التأثير بين مكوناته، وعلى ذلك فإن الاهتمام بدراسات المحاجة يتم غالباً في إطار الاستمالة بالمخاطبة، ويشمل هذا الاهتمام الجوانب التالية:

1 – طبيعة المحاجة من خلال الأحاديث اليومية المعتادة. (حسن وجيه، 1994: 94; 103: Antaki & Leudar, 1992).

2 – المقارنة بين فاعلية محاجة مقدمة عبر وسائط مختلفة مثل مقارنة فاعلية تخاطب مقروء بآخر مسموع أو مرئي[2] (عبدالمنعم شحاته، 1995)، وفي حالة كونه مقروءاً فتكون المقارنة بين الأساليب التي كتبت بها الرسالة، لكونها جيدة التنظيم، وكونها خالية من الأخطاء النحوية، وكونها تتضمن أسئلة تعجبية أو فكاهية أو أشكالاً توضيحية (المرجع نفسه)، وكذلك المقارنة بين الأسلوب الصحفي

(2) نشير في هذا الصدد إلى نقل ابن أبي أصيبعة (في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» بيروت: مكتبة الحياة، ب: ت) مقارنة قام بها علي بن رضوان (المتوفى سنة 447هـ) بين تعلم الطب عن طريق الكتب وتعلمه شفاهة على يد معلم.

والأسلوب العلمي في الكتابة[3] (Hatim, 1997: 39-45). أما في حالة كونه مسموعاً فتكون المقارنة مثلاً بين محاجة تتم في إطار ندوة علمية وأخرى تتم في إطار مرافعة قضائية (Gronbeck, *et al,* 1990: 407).

3 – والنقطة التي حظيت باهتمام أكبر هي الترتيب الذي تنتظم فيه محاجة الفرد، بحيث تبدأ بأقوى الحجج أو تنتهي بها، بما يمكن الفرد من الاستفادة إما بأثر الأولوية وإما بأثر الحداثة، وهو أثر يتوقف على عدد من المتغيرات وتفاعلها معاً، منها ما يتعلق بالقضية موضوع الرسالة، ومنها ما يتعلق بخصائص الرسالة، ومنها ما يتعلق بعناصر السياق الذي تقدم فيه، ومنها ما يتعلق بخصال شخصية متلقيها (عبدالمنعم شحاته، 1988).

4 – المعالجات المعرفية التي يقوم بها الفرد في أثناء محاجته سواء أكان الفرد:

أ – مقدماً للحجج، وتتمثل هذه المعالجة إما في المعالجة اللغوية التي تعكس قدرة الفرد على توظيف معرفته بمبادئ اللغة وقواعد المعنى في بناء حججه (MacDonald, *et al,* 1994)، وإما في المعالجة العقلية وعمليات الاستدلال في أثناء البرهنة (Bonatti, 1994).

ب – أو متلقياً لحجج الآخرين، حيث يقوم الفرد بتقويمها على ضوء مهاراته الاستدلالية (Gronbeck, *et al,* 1990: 400) ومدى حاجاته للإغلاق المعرفي، والتي يقرر على ضوئها إنهاء المعالجة أو الاستمرار فيها. والإغلاق المعرفي مكون فرضي يتسم بدرجة معقولة من العمومية والثبات عبر المواقف والأشخاص، وهو متصل تتفاوت مواقع الأفراد عليه بحيث نجد لدى بعض منهم ميلاً للإغلاق، وفي هذه الحالة، تعتمد أحكامهم على أدلة غير شاملة ويتسم فكرهم بدرجة من الجمود تجعلهم يرفضون وجهات النظر البديلة، في حين نجد أفراداً آخرين لديهم الميل إلى تجنب ذلك. وحتى الفرد الواحد قد يفضل الإغلاق في مواقف معينة، وقد يظهر ميلاً إلى تجنبه في سياقات أخرى (Webster & Kruglanski, 1998).

(3) طور باحثو العلوم اللغوية خطوات لتحليل الأسلوب تمكنهم من التنبؤ بفاعلية أسلوب معين، والمتمثلة في استحسان المتلقي له، وكان عبدالقاهر الجرجاني بكتابيه «دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة» أبرز الذين أدركوا هذا، ومع ذلك لا توجد – في حدود المعلومات المتاحة – دراسات تتناول بشكل إجرائي الفاعلية النسبية لأساليب الخطاب في الإعلام العربي.

5 – تنمية مهارات المحاجة بهدف زيادة قدرة الأفراد على تدبير مواقفهم من الأحداث المحيطة بهم، أو تدعيم تفسيرات مطروحة لهذه الأحداث. وتركز برامج التنمية هذه على تطوير المهارات اللغوية والاستدلالية والتفاعلية للأفراد، ومن أمثلة هذه البرامج: «حل الغموض، واكتشاف التناقضات، ولعبة الحوار المحاجي»[4] (White, 1990).

ويتطلب الجانب الأخير قياس مدى قدرة الفرد على المحاجة، حتى نقدر مدى حاجته إلى تنميتها مما يعني ضرورة وجود مقياس، وحيث إنه – طبقاً للمعلومات المتاحة – لا يوجد مقياس للمحاجة، فمن الضروري إعداده، ومن الضروري أن يبدأ هذا الإعداد بالتعرف إلى مكونات سلوك المحاجة، وهذا ما يسعى إليه البحث الحالي الذي تزداد أهميته على ضوء كل من:

أ – غياب الاهتمام بفحص سلوك المحاجة ومكوناته من قبل علماء النفس العرب.

ب – أهمية المحاجة المتمثلة في كونها نموذجاً لتعاون تخصصات علوم اللغة، وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، وعلم الاجتماع، وكونها أيضاً سلوكاً يقتضي إصداره تنشيط عمليات مثل: الانتباه، والفهم، وتعلم الخبرات، والتذكر، والتصنيف، والاستدلال، وحل المشكلات، وتوليد استنتاجات اعتماداً على تمثيل ذهني لمدخلات الحدث موضوع المحاجة، وتشمل هذه المدخلات وقائع الحدث وسمات شخصية أطراف هذا الحدث وفاعلية العلاقات المتبادلة بينهم والردود الانفعالية للقائم بالاستنتاج، ومن خلال التمثيل الذهني لهذه المدخلات يرسم الفرد توقعات معينة حول الحدث، ثم يطابقها مع البيانات الواقعية للحكم عليه، ومن خلال هذه المطابقة يقوم ببناء الحجج التي تمكنه من الإقناع بصحة حكمه هذا (Anderson, 1991; Genter & Holyoak, 1994; Grossor, *et al,* 1994).

وهكذا تمكننا دراسة المحاجة من فهم هذه العمليات العقلية وفهم تكامل أدائها. ولأن المحاجة سلوك لفظي تفاعلي يتم في إطار تخاطب مباشر أو غير مباشر، فمن

(4) وهي برامج نوعية، وتجدر الإشارة إلى مشروع جامعة «هارفارد» الرائد الذي يتسم بالشمول، فله تطبيقاته في المفاوضات الدولية، كما لا يقتصر هدفه على تنمية كيفية التفاوض لمعالجة مشكلات المجتمع الأمريكي فحسب، وإنما ينمي مهارات التفاوض لدى طلاب الجامعات والمدارس الثانوية أيضاً (حسن وجيه، 1994: 50).

المتوقع أنها تتأثر بمتغيرات تظهر دراسات الاستمالة أن لها دوراً في تحديد فاعليتها. وتندرج هذه المتغيرات في الفئات التالية: خصال القائم بالمحاجة، وخصال متلقيها، وخصائص الوسيط الذي تتم من خلاله، وطبيعة الموضوع الذي تتناوله، وعناصر السياق التي تتم فيها كالخلفية الثقافية والاجتماعية واللغوية لطرفيها وعوامل موقف الحوار نفسه.

تتم المحاجة غالباً في مواقف مواجهة (وجهاً لوجه) بين طرفيها، إلا أن هناك إمكانية أن تتم في مواقف لا تتضمن هذه المواجهة كما هو الحال في المعارك الصحفية والمنازعات الفكرية على صفحات الكتب، ولكون هذه الدراسة استكشافية، فقد اقتصر تناولها للمحاجة من النوع الأخير، أي محاجة مكتوبة، والتي تقتصر على تناول قضايا فكرية واجتماعية وليست سياسية، وتضمنتها محاورات تمت في فترات مختلفة من تاريخ البشرية قديماً وحديثاً.

وبسبب طبيعة هذه الدراسة الاستكشافية أيضاً، فإنه سيكتفي بالإجابة عن التساؤلين التاليين:

1 – هل توجد مكونات معينة تشكل سلوك المحاجة كما يمارسه المتحاورون في فترات زمنية مختلفة ومن ثقافات متباينة؟

2 – وهل يتساوى شيوع استخدام هذه المكونات عبر الثقافات، أو أن هناك خصوصية ثقافية لسلوك المحاجة، بمعنى تباين شيوع مكوناته بتنوع الثقافة التي يمارس في سياقها؟

المنهج

أولاً – العينة:

تمت الاستعانة بنوعين من المفردات يشكلان عينة هذه الدراسة وهما:

أ – اختيرت 66 محاورة أو مقالة – يوضحها جدول (1) – لتحليل مضمونها وقد تم تصنيفها على أساس المرحلة التاريخية التي تمت فيها، وهي لا تمثلها، حيث تم اختيار المحاورات والمقالات بطريقة المصادفة.

ب – أسفر تحليل مضمون المحاورات والمقالات المشار إليها آنفاً عن 54 مكوناً لسلوك المحاجة تم تقديمها إلى 18 من أعضاء هيئة التدريس بأقسام علم النفس والتاريخ والثقافة الإسلامية بجامعة الملك خالد بأبها (المملكة العربية السعودية) وطلب منهم تقرير ما يلي:

جدول (1) قائمة المحاورات والمقالات التي تم تحليل مضمونها

م	المحاورة أو المقالة	الفترة التاريخية	ملاحظات
1	الخطابة	حقبة الفكر اليوناني	لأرسطو. ترجمة: عبدالرحمن بدوي. بيروت: دار العلم، 1979 (المقالة الأولى: 3 – 79).
2	«جورجياس»		لأفلاطون. ترجمة: حسن ظاظا، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، 1970.
3	«أوطيفرون»		لأفلاطون. ترجمة: زكي نجيب محمود، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966.
4	الدفاع		
5	«أقريطون»		
6	«فيدون»		
7	مسامرات أبي حيان التوحيدي للوزير أبي عبدالله العارض وتناولت اللغة والآداب والأخلاق والشعوب*.	حقبة الفكر الإسلامي	للتوحيدي. الامتاع والمؤانسة. بيروت: دار مكتبة الحياة، الجزء الأول.
8	نقض ابن تيمية لآراء الفخر الرازي والغزالي بشأن تعارض العقل والنقل*.		ابن تيمية (1981) درء تعارض العقل والنقل. الرياض: مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود. ج1: 4، 87–91.
9	رد ابن تيمية على قول ابن سينا عن الخيال والوهميات.		المرجع نفسه، 6: 19–59.
10	رد ابن تيمية على آراء أرسطو والغزالي وابن رشد بشأن عجز الفلاسفة عن الاستدلال على وجود الصانع للعالم*.		المرجع نفسه، 8: 136–215.
11	حديث «هوايتهد» إلى أصدقائه بين عامي 34 و1947 عن الآداب والفنون والاختراعات والحروب والحضارة*.	حقبة الفكر الأوروبي المعاصر	لوسيان برايس (1961) محاورات «هوايتهد» ترجمة: محمود محمود. القاهرة: دار المعرفة: (49 – 224)، عدد 20.
12	آراء «راسل» عن الفلسفة والأخلاق، والسعادة، ودور الفرد، والتعصب*.		محاورات «براترندراسل» (1979) ترجمة: جلال العشري. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (9–28، 63–78، 95–116، 155–182).

تابع/ جدول (1) قائمة المحاورات والمقالات التي تم تحليل مضمونها

م	المحاورة أو المقالة	الفترة التاريخية	ملاحظات
13	آراء طه حسين ومحمود شاكر ومعاصريهما حول علاقة القديم بالجديد في الأدب والفكر*.	حقبة الفكر العربي المعاصر	محمود شاكر (1977) المتنبي. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود: (1 – 165).
14	آراء العمير وطبانه حول ابن النديم وكتابه*.		محمد علي عمير (1985) معركتان أدبيتان، جدة: دار العمير: (170 – 205).
15	آراء حول «العولمة»*.		أربع مقالات للسيد يسين. الأهرام القاهرية، أيام: 18، 26/11، 3، 10/12/1998.
16	حقوق الإنسان وحوار الأديان.		مقالان لأحمد كمال أبو المجد بجريدة الأهرام، يومي 10، 11/12/1998.
17	مقالان عن فيلم «الحصار» و«الأقباط».		صلاح الدين حافظ. جريدة الأهرام، 4، 11/11/1998.
18	مقالان عن جمعيات حقوق الإنسان في مصر وتمويلها.		فهمي هويدي، جريدة الأهرام، 8، 15/12/1998.

(*) تشير إلى عدة مقالات منفصلة يتضمنها مصدر واحد.

1 – صلة كل مكون بعملية المحاجة (وقد قدم الباحثان لهم تعريفاً إجرائياً لها).

2 – تحديد أهم خمسة مكونات يرونها الأكثر تحقيقاً للإقناع.

واعتمد الباحثان على هذه الخطوة للحصول على مؤشر لصدق تحليل المضمون الذي قاما به، وتمثل هذا المؤشر في محاولة الحصول على دليل واقعي (إمبيريقي) لاستنتاجاتهما حول قائمة مكونات سلوك المحاجة التي أسفر عنها تحليل المضمون.

جمع البيانات

تم جمع البيانات بطريقتين تبعاً لنوعي العينة كما يلي:

أ – بالنسبة للمحاورات والمقالات، فقد تم تحليل مضمونها، حيث إن تحليل المضمون كما يرى «برلسون» – طريقة تصف محتوى الاتصال وأسلوبه وصفاً كمياً هادفاً ومنظماً يمكّن من المقارنة بين اتصال وآخر ومن تقويمه (صالح

العساف، 1995: 235)، كما يعد نوعاً من الملاحظة المنظمة للسلوك اللفظي المتبادل بين شخصين أو أكثر (لويس مليكة، 1970: 658). واختيرت «الفكرة» كوحدة تحليل، ويقصد بها أي معنى يذكره أحد المتحاورين ويستجيب له الآخر بالتعليق أو الاستفسار أو التأييد أو الرفض.

وقد استقر الباحثان على مجموعة الأفكار التي تمثل أداة التحليل بعد القيام بكل من:

1 – الاطلاع على ما هو متوافر في المجال (مثل حسن وجيه، 1994؛ زاهر الألمعي، 1984).

2 – قراءة استكشافية لبعض المقالات والتشاور بشأن محتواها.

وقد تم تقدير ثبات التحليل من خلال قيام كل من الباحثين وبشكل مستقل عن الآخر، بتحليل مضمون ثلاث محاورات لأفلاطون، وحسبت نسبة الاتفاق بين تحليلهما فبلغت 85٪، وتم الاستناد إلى المؤشرين التاليين لصدق التحليل:

1 – اتساق نتائجه مع ما أسفرت عنه تحليلات أجراها باحثون آخرون وسيتضح عند عرض النتائج تالياً مدى هذا الاتساق.

2 – معاملات الاتفاق بين تقديرات المحكمين لصلة كل مكون كشف عنه تحليل المضمون بعملية المحاجة على هيئة نسب مئوية، وتراوحت هذه المعاملات بين 55.6 و 94.4%.

ب – بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس الثمانية عشر، فقد قدمت لهم قائمة بمكونات سلوك المحاجة وطلب منهم – إضافة إلى تقرير صلة كل مكون بالمحاجة – تحديد أهم خمسة مكونات منها.

النتائج

أ – أسفر تحليل مضمون المحاورات والمقالات عن 54 مكوناً لسلوك المحاجة يعرضها جدول (2)، وباستعراض هذه المكونات نلاحظ ما يلي:

1 – أن 20 مكوناً (بنسبة 37.04% من مجموع المكونات) تشيع بين متحاورين من فترات تاريخية مختلفة وثقافات متباينة، مما يعني أنها تمثل قاسماً مشتركاً بينها. وبتفحص مضمون هذه المكونات يتضح:

أ) أن بعضها متعلق إما بجوانب منطقية مثل: إبطال دعوى الآخر بإثبات نقيضها،

وجر المحاور إلى التسليم بحجة معينة وجعلها مقدمة تلزم عنها نتيجة كان يرفضها، وقلب الحجة، والدخول في دائرة مفرغة. وإما تتعلق بجوانب لغوية كالإصرار على تسمية الأشياء بمسمياتها، والتركيز على حرفية المعنى، واكتشاف خلط المفاهيم.

ب) وأن بعضها الآخر يعكس عمليات عقلية مثل:

– طلب الإيضاح، ويتمثل في المطالبة بتطبيق الفكرة على أمثلة عيانية، وذكر أمثلة محسوسة لها والتوضيح من خلال ذكر تشبيهات أو ذكر أمثلة معارضة لها.

– والأصالة، وتتمثل في ذكر تفسير مختلف للحدث أو الفعل.

– والتحليل، أي تحليل الفكرة إلى عناصرها.

– والتركيب، أي جمع المقدمات في سلسلة متكاملة.

– والخيال أو إلقاء أسئلة افتراضية وانتزاع موافقة الآخر على إجاباتها.

وهكذا نحصل على إجابة عن تساؤلنا الأول، حيث تبين وجود مكونات معينة تشكل سلوك المحاجة عبر فترات تاريخية مختلفة وثقافات متباينة، إلا أن هذه الإجابة جزئية كما سيتضح في الفقرة التالية.

2 – هناك تباين في شيوع مكونات سلوك المحاجة من فترة تاريخية إلى أخرى، ويأخذ هذا التباين صورتين يمكن ملاحظتهما وهما:

الأولى: إن عدد المكونات التي تشيع بين المتحاورين يتزايد كلما اتجهنا نحو الحداثة، ففي حين استخدم المتحاورون في حقبة الفكر اليوناني – مع التنويه إلى كون المحاورات التي تم تحليلها لا تمثل المرحلة، وكذلك الحال في بقية المراحل – 31 مكوناً بنسبة 57.4%، مقابل 38 مكوناً بنسبة 70.4% يشيع في مرحلة الفكر الإسلامي، 43 مكوناً بنسبة 79.3% في مرحلة الفكر الأوروبي المعاصر، و46 مكوناً بنسبة 85.2% في مرحلة الفكر العربي المعاصر. ويعد هذا التزايد مقبولاً على ضوء تميز كل من: الفكر الإنساني بالتراكمية، واتصاف الأفراد بالاستفادة من الخبرات السابقة.

الثانية: إن هذا التباين لا يقتصر على كم المكونات فحسب وإنما يشمل نوعيتها أيضاً، ففي مرحلة الفكر اليوناني – وننوه مرة أخرى إلى قصور تمثيل المحاورات التي تم تحليلها للمراحل التاريخية مما يعني الحذر عند التعامل مع هذه الاستنتاجات – تحظى بالأولوية مكونات: ادعاء عدم الفهم لاستدراج الآخر إلى توضيحات توقعه في المغالطة، وإعادة صياغة ما تم فهمه، وإبراز خلط المعاني والمفاهيم.

جدول (2) مكونات المحاجة التي كشف عنها تحليل مضمون 66 محاورة ومقالة

م	مكونات المحاجة	حقبة يونانية		حقبة إسلامية		حقبة أوروبية معاصرة		حقبة عربية معاصرة	
		ك	ترتيب	ك	ترتيب	ك	ترتيب	ك	ترتيب**
1	مدح الآخر بشكل زائف	1	17	–	–	1	25	–	–
2	ادعاء عدم الفهم لاستدراجه إلى تفاصيل قد توقعه في المغالطة	6	1	–	–	–	–	1	34
3	التوضيح من خلال ذكر التشبيهات	5	3	7	13	1	25	3	19
4	التوضيح من خلال ذكر أمثلة معارضة	2	9	4	27	1	25	1	34
5	اللجوء إلى المزايدات الخطابية	2	9	–	–	–	–	5	11
6	التمييز بين السؤال والتعليق	1	17	–	–	2	15	2	25
7	اكتشاف خلط المفاهيم	4	4	1	32	3	11	1	34
8	إعادة صياغة ما تم فهمه	6	1	1	33	1	25	–	–
9	انتزاع تسليم الآخر بتحديد معنى مفهوم	2	9	1	32	11	3	2	25
10	توجيه سخرية لاذعة إلى الآخر	2	9	–	–	1	25	5	15
11	تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة	–	–	6	15	–	–	–	
12	إثبات صحة النقل للأمور المروية	–	–	13	4	–	–	–	
13	إظهار عدم التعارض أو التناقض	–	–	5	18	1	25	1	34
14	إعلان التسليم بالمتفق عليه من مسلمات	–	–	2	27	–	–	–	
15	الاستدلال بالقصص القرآني	–	–	17	1	–	–	2	25
16	الاستفهام التقريري	–	–	5	18	1	25	3	19
17	إبطال دعوى الآخر بإثبات نقيضها	1	7	8	12	2	15	2	25
18	إلقاء أسئلة افتراضية وانتزاع موافقة الآخر على إجاباتها	1	17	4	22	1	25	3	19
19	إلزام المحاور بذكر أمثلة محسوسة	2	9	5	18	2	15	2	25
20	إبراز الخلط بين معاني الكلمات المستخدمة	4	4	–	–	2	15	1	34
21	استخدام الأمثال السائدة وجعلها موضع الحجة	–	–	2	27	1	25	4	15

تابع/ جدول (2) مكونات المحاجة التي كشف عنها تحليل مضمون 66 محاورة ومقالة

م	مكونات المحاجة	حقبة يونانية		حقبة إسلامية		حقبة أوروبية معاصرة		حقبة عربية معاصرة	
		ك	ترتيب	ك	ترتيب	ك	ترتيب	ك	ترتيب**
22	التعامل مع المشاعر التي تثيرها الفكرة لا الفكرة نفسها	–	–	–	–	1	25	2	25
23	التركيز على معنى معين للفكرة أو للمفهوم وإهمال بقية المعاني	–	–	–	–	–	–	6	9
24	الاعتماد على أثر الهالة لأحد المحاورين	–	–	–	–	2	15	–	–
25	الإفراط في التعميم	–	–	–	–	–	–	1	33
26	الاستخدام المضلل للإحصاءات	–	–	–	–	8	4	3	19
27	الاستغراق في الجزئيات وإهمال القضية الأساسية	–	–	2	27	17	1	5	11
28	الاكتفاء بالإجمال دون التفصيل	2	9	8	12	1	25	7	7
29	كشف مغالطة الآخر	3	6	6	15	3	11	1	33
30	الفصل بين الفعل وفاعله، والتركيز على الأول وإهمال الثاني أو العكس	–	–	1	32	2	15	4	15
31	ذكر تفسير مختلف للحدث (الفعل)	1	17	6	15	15	2	1	34
32	جمع المقدمات في سلسلة متكاملة	2	9	4	22	3	11	1	34
33	إضافة عنصر جديد إلى فكرة طرحها الآخر	–	–	12	5	8	4	–	–
34	عرض تقويم مئوي لعناصر الموقف	–	–	–	–	2	15	1	34
35	عكس النسب التقويمية التي يطرحها الآخر	–	–	–	–	7	7	1	34
36	فصل الأحداث عن ملابساتها، والأفكار عن سياقاتها	–	–	2	27	1	25	1	34
37	عزو موقف الآخر إلى دوافعه الشخصية	–	–	–	–	1	25	4	15
38	تحليل الفكرة إلى عناصرها	3	6	7	13	5	9	2	25

تابع/ جدول (2) مكونات المحاجة التي كشف عنها تحليل مضمون 66 محاورة ومقالة

م	مكونات المحاجة	حقبة يونانية		حقبة إسلامية		حقبة أوروبية معاصرة		حقبة عربية معاصرة	
		ك	ترتيب	ك	ترتيب	ك	ترتيب	ك	ترتيب**
39	المطالبة بتطبيق الفكرة على أمثلة عيانية	1	17	11	7	8	4	1	34
40	تجاهل المطلوب	1	17	1	32	2	15	8	4
41	المصادرة على المطلوب	1	17	–	–	1	25	7	7
42	الدخول في الدائرة المفرغة	1	17	1	32	2	11	5	11
43	الاستعانة بأدلة من التاريخ	–	–	9	10	4	10	3	19
44	الاتفاق جزئياً مع المحاور لانتزاع موافقته على جزء آخر من الحجة	1	17	–	–	2	15	6	9
45	مهاجمة المحاور شخصياً بدلاً من تفنيد وجهة نظره	–	–	1	32	2	15	9	2
46	الاستشهاد بأقوال مأثورة أو نص شعري	–	–	17	1	6	8	8	4
47	جر المحاور إلى التسليم بحجة معينة واتخاذها مقدمة تلزم عنها نتيجة كان يرفضها مسبقاً	3	6	4	22	1	25	2	25
48	المبالغة البلاغية والمجازية	–	–	11	7	–	–	9	2
49	إثارة السؤال الصحيح في الوقت المناسب	1	17	3	26	1	35	–	–
50	التركيز على حرفية المعنى	1	17	14	3	1	25	11	1
51	التركيز على الأشخاص وليس الموضوعات	–	–	2	27	–	–	8	4
52	تبرير المواقف بغاياتها والوقائع بالنيات الحسنة	1	17	9	10	–	–	5	11
53	الإصرار على تسمية الأشياء بمسمياتها	2	6	5	18	1	25	3	19
54	قلب الحجة	1	17	12	5	1	25	1	34

* يشير التكرار (ك) إلى ورود الفكرة في المحاورة (أو المقالة) ولو مرة واحدة، أي بغض النظر عن تكرار مرات ورودها في المحاورة نفسها.

** وضع الترتيب على أساس التكرار فقط.

أما في مرحلة الفكر الإسلامي فإن ما يحظى بالأولوية هو مكونات: الاستدلال بالقصص القرآني، والاستشهاد بأقوال مأثورة أو نص شعري، وإثبات صحة النقل للأمور المروية، والتركيز على حرفية المعنى، وقلب الحجة، وإضافة عنصر جديد إلى الفكرة المطروحة. في حين يشيع في الفكر الأوروبي المعاصر مكونات مثل: الاستغراق في الجزئيات وإهمال القضية الأساسية، وذكر تفسير مختلف للحدث، وانتزاع تسليم الآخر بمعنى مفهوم ما، والاستخدام المضلل للإحصاءات، وإضافة عنصر جديد إلى الفكرة المطروحة. في حين يشيع في الفكر العربي المعاصر مكونات مثل: التركيز على حرفية المعنى، والمبالغة البلاغية والمجازية، ومهاجمة المحاور شخصياً بدلاً من تفنيد وجهة نظره، والاستشهاد بأقوال مأثورة أو نص شعري، والتركيز على الأشخاص لا الموضوعات.

وتتسق النقطة الأخيرة مع ما توصل إليه حسن وجيه، (1994: 140، 180) من تحليله لملفات الحوار العربي المعاصر، إذ وجد أن أهم أساليب الإقناع لدى المتحاورين العرب هو ما يسمى بـ «القوالب الثقافية الثابتة»، أي الإسراع بإلقاء مثل شعبي أو بيت شعري أو نص ديني يوجز خبرة ثقافية أو مقولة دينية يحظى مضمونها بالإجماع، وذلك لحسم النقاش، كما لاحظ غلبة ما سماه «التناحر والانقضاض والتسلط»، مما يتسق مع ما كشفت عنه تحليلاتنا من مهاجمة المحاور شخصياً والتركيز على الأشخاص وليس الموضوعات. ويعد هذا مؤشراً لصدق تحليلاتنا، إضافة إلى أن التنوع بصورتيه الكمية والنوعية المشار إليه آنفاً يعد مؤشراً آخر لصدق تحليلاتنا، ويقدم إجابة عن التساؤل الثاني.

3 – باستعراض محتوى جدول (2) بغض النظر عن الفترة التاريخية التي تنتمي إليها المحاورات والمقالات، نلحظ إمكانية تصنيف مكونات سلوك المحاجة إلى فئات يمكن أن تمثل محور فرض تتحقق دراسة عاملية تالية[5] من صحته، ومن الفئات التي تنتظم فيها مكونات سلوك المحاجة ما يلي:

– مكونات تشير إلى قدرات المحاور الإبداعية مثل: الأصالة، وتتمثل في تقديم تفسير مختلف للحدث وإضافة عنصر جديد إلى الفكرة المطروحة، ومثل القدرة على التركيب أو جمع المقدمات في سلسلة متكاملة، والقدرة على التحليل أو تحليل الفكرة إلى عناصرها، والقدرة على تقديم توضيح للفكرة أو توسيع لها من خلال ذكر التشبيهات وذكر الأمثلة المعارضة لها واستدراج الآخر إلى تفاصيل توقعه في المغالطة.

(5) أجريت الدراسة المقترحة باستخدام مقياس أبعاد سلوك المحاجة (95 بنداً) الذي جاء ثمرة الدراسة الحالية، فقد تم التحليل العاملي لإجابات 617 فرداً على تلك البنود.

– مكونات تشير إلى قدرة الفرد على الإتيان بسلوك مؤكد للذات في موقف المحاورة كانتزاع تسليم الآخر بتحديد معنى مفهوم، وإلزامه بما هو محسوس وانتزاع موافقته على إجابة عن سؤال افتراضي. ومن الضروري في هذه الحالة فحص العلاقة بين القدرة على المحاجة والقدرة على توكيد الذات.

– مكونات تشير إلى إصدار المحاور سلوكاً عدوانياً، ومنها: السخرية اللاذعة، وتجاهل المطلوب أو المصادرة عليه، ومهاجمة الآخر شخصياً بدلاً من تفنيد وجهة نظره، ويرى بعض الباحثين أن المحاجة نوع من العدوان اللفظي يمنع الآخر من الوصول إلى قرار (Gronbeck, *et al,* 1990: 405)، ومن الضروري أيضاً دراسة العلاقة بين سلوك المحاجة والسلوك العدواني.

ب – قدم إلى 18 عضو هيئة تدريس، قائمة مكونات سلوك المحاجة التي أسفر عنها تحليل المضمون المشار إليه سابقاً، والموضحة في جدول (2) وطلب منهم ما يلي:

أ – تقرير صلة كل مكون منها بالمحاجة، وذلك بوضع علامة (✓) أمام كل منها بهدف تقرير صدق الأداة كما سبق التنويه.

ب – تحديد أهم خمسة مكونات منها يرونها الأكثر فاعلية في تحقيق الإقناع، وترتيبها تنازلياً، وذلك بكتابتها في نهاية القائمة وفق الترتيب الذي يرونه، وقد أعطى الترتيب الأول خمس درجات، والثاني أربع درجات، والخامس درجة واحدة، ثم حسب متوسط هذه الدرجات، فكان كما يوضحه جدول (3)، الذي يبين فحص مضمونه ما يلي:

1 – إن المكونات التي حظيت بالقيمة الأعلى هي التي تضمنت قدرة الفرد على الإبداع (ذكر تفسير مختلف – وتحليل الفكرة إلى عناصرها – وإثارة السؤال الصحيح) وقدرته على توكيد ذاته في موقف المحاجة (جر الآخر إلى التسليم بحجة معينة واتخاذها مقدمة تلزم عنها نتيجة)، وتشير هذه المكونات إلى قدرة الفرد على إدارة موقف المحاجة وامتلاكه رصيداً معرفياً سابقاً عن موضوعها. في حين أن المكونات التي حظيت بقيمة أقل وهي: كشف مغالطة الآخر، والاستغراق في الجزئيات، وإرجاع موقف الفرد إلى دوافعه الشخصية فهي قد تشير إلى تضاؤل خبرة الفرد في موضوع المحاجة التي أصبح طرفاً فيها، وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة دراسة الدور الوسيطي لعوامل الشخصية كتوكيد الذات والخبرة السابقة في موضوع المحاجة في تحديد فاعلية مكونات بعينها.

2 – إن أكثر من نصف مكونات جدول (3) (7 مكونات) قد تضمنتها الفقرة (أ1)، أي تندرج ضمن ما هو شائع بين المتحاورين بغض النظر عن الفترة التاريخية والثقافة التي ينتمون إليها، وأن هذا يعد مؤشراً لصدق تحليلنا لمضمون المحاورات والمقالات.

جدول (3) مكونات المحاجة التي حظيت بالأولوية من قبل عينة محدودة من أعضاء هيئة التدريس

م	مكونات المحاجة	المتوسط	الانحراف المعياري	الترتيب
1	اكتشاف خلط المفاهيم	2.78	2.004	8
2	إثبات صحة النقل للأمور المروية	2.89	1.92	7
3	إبطال دعوى الآخر بإثبات نقيضها	2.28	2.35	10
4	إلقاء أسئلة افتراضية وانتزاع موافقته على إجابتها	2.44	1.77	9
5	الاستغراق في الجزئيات وإهمال القضية الأساسية	1.89	1.85	12
6	كشف مغالطة الآخر	1.72	2.1	13
7	ذكر تفسير مختلف للحدث	3.83	1.31	3
8	إضافة عنصر جديد لما يطرحه الآخر	3.39	2.11	6
9	فصل الأحداث عن ملابساتها والأفكار عن سياقاتها	3.61	1.59	5
10	إرجاع موقف الفرد إلى دوافعه الشخصية	2.28	2.01	11
11	تحليل الفكرة إلى عناصرها	3.72	2.03	4
12	إثارة السؤال الصحيح في الوقت المناسب	3.89	1.93	2
13	جر المحاور إلى التسليم بحجة معينة واتخاذها مقدمة تلزم عنها نتيجة كان يرفضها مسبقاً	4.22	2.16	1

3 – كشف تحليل مضمون مقالات تنتمي إلى مرحلة الفكر العربي المعاصر – انظر جدول (2)، حسن وجيه (1994: 165–200) – أن هناك مكونات تشيع بين المتحاورين، ولم تحظ بقيمة لدى أعضاء هيئة التدريس، وربما يرجع هذا إلى الفروق بين ما هو متصور وما يمارس بالفعل، فقد نتصور أن لمكونات بعينها أهميتها الكبيرة وتأتي الممارسة السلوكية مخالفة لذلك، وما قام به أعضاء هيئة التدريس هو تحديد تصوري لأهم مكونات المحاجة كما يوضح جدول (3)، أما تحليل المضمون فقد تناول محاجة تمت ممارستها فعلياً كما يوضح جدول (2)، وعلى ضوء هذا يمكن قبول تفاوت العدد والشيوع بين الجدولين.

جـ – نستخلص مما سبق أن بعضاً من مكونات سلوك المحاجة يشيع بين المتحاورين في أي زمان ومكان، وأن بعضها الآخر يشكل نوعاً من الخصوصية الثقافية لسلوك المحاجة، كما أن مكونات المحاجة يمكن أن تنتظم في فئات وأبعاد، وأن تفاوتاً قد يحدث في هذا الانتظام أو في أهمية مكون مقارنة بآخر، ويمكن عزوه إلى دور وسيطي لخصال الشخصية أو الخبرات السابقة.

وبهذا فإن هذه الدراسة قد أجابت عن التساؤلين اللذين بدأت بهما، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى:

1 – قصور عينة الدراسة بفئتيها سواء المحاورات والمقالات أو الأفراد، فبالإضافة إلى ضآلة العدد، فهما لا يمثلان مجتمع هذه الدراسة، ويمكن تفهم هذا القصور على ضوء الطبيعة الاستكشافية لهذه الدراسة.

2 – ضرورة إجراء دراسات تتفادى هذا القصور، وتسعى إلى الإجابة عن تساؤلات مثل:

– ما الأبعاد التي تنتظم فيها مكونات المحاجة؟ (ننوه إلى أن دراسة أخرى أجريت بالفعل للإجابة عنه).

– ما الأهمية النسبية لأحد هذه الأبعاد مقارنة بالآخر؟

– ما العلاقات المتبادلة بين سلوك المحاجة وكل من: السلوك الإبداعي والسلوك المؤكد للذات والسلوك العدواني والتسلطية؟

– ما مدى تأثر قدرة الفرد على المحاجة بعوامل الخبرة السابقة أو بعناصر السياق؟

– نأمل أن تقدم دراساتنا المستقبلية إجابة عن هذه التساؤلات.

المصادر:

أبو البقاء الكفوي (1975). **الكليات**. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

ابن تيمية (1951). **نقض المنطق**. القاهرة: مكتبة السنة المحمدية.

ابن قدامة المقدسي (1991). **روضة الناظر وجنة المناظر**. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

ابن منظور (محمد مكرم الأنصاري) (1980). **لسان العرب**. القاهرة: دار المعارف.

التهانوي (محمد علي الفاروقي) (1972). **كشاف اصطلاحات الفنون**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

حسن وجيه (1994). **مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي.** الكويت: سلسلة عالم المعرفة (190).

زاهر عوض الألمعي (1984). **مناهج الجدل في القرآن الكريم.** الرياض: دار الفرزدق.

صالح العساف (1995). **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية.** الرياض: مكتبة العبيكان.

عبدالمنعم شحاته (1988). فهم الرسالة الإعلامية وعلاقته ببعض خصال شخصية متلقيها. **مجلة العلوم الاجتماعية،** 16(1): 121–134.

عبدالمنعم شحاته (1995). مكونات الإعلام وآثاره من منظور علم النفس. **عالم الفكر،** 24(2): 291–315.

مجمع اللغة العربية (1979). المعجم الفلسفي. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

لويس مليكة (1970). **سيكولوجية الجماعات والقيادة.** القاهرة: دار النهضة المصرية.

Anderdson, J. (1991). The adaptive nature of human categorization. *Psychological Review,* 98: 409-429.

Antaki, C., & Leudar, I. (1992). Explaining in conversation: Toward an argument model. *European Journal of Social Psychology,* 22: 181-194.

Bonatti, L. (1994). Propositional reasoning by model. *Psychological Review,* 101: 725-733.

Chaiken, S., & Maheswaren, D. (1994). Heuristic processing can bias systematic processing: Effects of source credibility, Argument ambiguity and task importance on attitude judgment. *Journal of Personality & Social Psychology,* 66: 460-473.

Gentner, D., & Halyoak, K. (1997). Reasoning and learning by analogy. *American Psyhologist,* 52: 32-34.

Gronbek, B., Mckerrow, R., Ehninger, D., & Monroe, A. (1990). *Principles and types of speech communication*. Glenview: Scott, Foresman & Co. 11th ed.

Grosser, B., Singer, M., & Trabaso, T. (1994). Constructing inferences during narrative text comprehension. *Psychological Review*, 101: 371-399.

Hatim, B. (1997). *Communication across cultures: Translation theory and contrastive text linguistics*. Exeter (UK): Univ. of Exeter Press.

Johnson, K., & Roloff, M. (1998). Serial arguing and relational quality: Determinants and consequences of perceived resolvability. *Communication Research,* 25: 327-343.

Joule, R., & Beauvous, J. (1998). Cognitive dissonance theory: A radical view. *European Review of Social Psychology,* 8: 1-32.

MacDonald, M., Pearlmutter, N., & Seidenberg, M. (1994). Lexical nature of syntactic ambiguity resolution. *Psychological Review,* 101: 676-703.

Niedenthal, P., Tangney, J., & Gavanski, L. (1994). If only I weren't versus if only I hadn't: Distinguishing shame and guilt in counterfactual thinking. *Journal of Personality & Social Psychology,* 67: 585-595.

Nofsinger, R. (1991). *Everyday conversation*. Newbury Park: Sage Pub.

Rancer, A., Whitecap, V., Kosberg, R., & Avtgis, T. (1997). Testing the efficacy of a communication training program to increase argumentativeness and argumentative behavior in adolescents. *Communication Education,* 40: 273-284.

Trapp, R., & Holf, N. (1985). A model of serial argument in interpersonal relationships. *Journal of the American Forensic Association,* 22: 1-11.

Webster, N., & Kruglanski, A. (1998). Cognitive and social consequences of the need for cognitive closure. *European Review of Social Psychology,* 8: 133-174.

White, P. (1990). Ideas about causation in philosophy and psychology. *Psychological Bulletin*. 108: 3-18.

قدم في: مارس 2001.

أجيز في: أبريل 2002.

Psychology

Argumentation Components: A content Analysis Study

Abdel Moneim Shehata[*]
& Tareif S. Farag[**]

Argumentation has been a major area for contemporary societies, especially in political, social, educational and mass media activities. Yet, Arab social psychologists have not been paying any attention to study argumentation. The goal of this study is to identify the components which underpin the argumentative behavior, as a primary step for the preperation of a scale to assess the ability of argumentation. This measurment will enable to objectively determine the dimensions of argumentation and its skills. To realize this goal, we apply content analysis of 66 articles written at different historical periods (Greek, Islamic, Contemporary European and contemporary Arabic). The data revealed fifty four components underlying argmentation. Then, these components were forwarded to 18 university staff members to determine their importance. This step reveals that 13 components are highly important, and related to the abilities of creativity and assertiveness.

Key words: Argumentation, Proofing, Reasoning, Rational appeal, Content analysis.

* Dept. of Psychology, Faculty of Arts, Monofia University, Egypt.
** Dept. of Psychology, Faculty of Arts, Bany-Soueif, Cairo University, Egypt.